﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: 57 - 58]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

بيانُ حالِ مُؤذي النَّبيِّ بعدَ بيانِ حالِ المُصلّي والمُسلِّمِ عليهِ

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها؛ ففيها وجوهٌ متقاربةٌ، منها: لمّا أمرَ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ ﷺ؛ بيَّنَ حالَ مَنْ يُؤذي رسولَهُ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ لتتبيَّنَ فضيلةُ مَنِ امتثلَ أمرَهُ تعالى، وفضيلةُ مَنْ يُصلّي، ويُسلِّمُ على النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ فضيلةَ الأشياءِ تُظهِرُ انحطاطَ شأنِ أضدادِها[1]، ومنها: لمّا نهَى سبحانَهُ عن أذاهُ ﷺ، وحضَّ على إدخالِ السُّرورِ عليهِ؛ توعَّدَ على أذاهُ[2]، ومنها: لمّا أرشدَ اللّهُ المؤمنينَ إلى تناهي مراتبِ حُرْمةِ النَّبيِّ ﷺ وتكريمِهِ، وحذَّرَهم ممّا قد يَخفَى على بعضِهم مِنْ خفيِّ الأذى في جانبِهِ، وعلمَ أنَّهم قد امتثلوا؛ أردفَ ذلكَ بوعيدِ قومٍ اتَّسَموا بسِماتِ المؤمنينَ، وكانَ مِنْ دَأْبِهم السَّعيُ فيما يُؤذي الرَّسولَ ﷺ، فأعلمَ اللّهُ المؤمنينَ بأنَّ أولئكَ ملعونونَ في الدُّنيا والآخرةِ؛ ليعلمَ المؤمنونَ أنَّ أولئكَ منافقونَ[3].

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى؛ ففيها وجوهٌ أيضًا:

إيذاءُ المُصلّي على النَّبيِّ مِنْ إيذاءِ النَّبيِّ

لمّا كانَ اللّهُ تعالى مُصلّيًا على نبيِّهِ، لم ينفكَّ إيذاءُ اللّهِ عن إيذائِهِ، فإنَّ مَنْ آذى اللّهَ؛ فقد آذى الرَّسولَ، فبيَّنَ اللّهُ للمؤمنينَ في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أنَّكم إنْ أتيتُم بما

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182، وزاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 662.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 103.

أمرتُكم، وصلَّيتُم على النَّبيِّ؛ لا ينفكُّ إيذاؤُكم عن إيذاءِ الرَّسولِ، فيأثمُ مَنْ يُؤذيكم[1].

ذِكْـرُ إيـذاءِ الـصّـالـحـينَ بعدَ ذِكْـرِ إيـذاءِ الرَّسولِ

لمّا فرغَ تعالى مِنْ ذمِّ مَنْ آذَى اللّهَ ورسولَهُ؛ ذكرَ الأذيَّةَ لصالحي عبادِهِ، فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآيةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُؤْذُونَ﴾: (أذي) أصلٌ يدلُّ على الشَّيءِ تكرهُهُ[3]، فالأذَى في الأصلِ: الضَّرَرُ الحاصلُ[4]، والمرادُ بأذى اللّهِ: إيذاءُ رسولِهِ، والمرادُ بالأذَى في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: إمّا أذَى القولِ، بقرينةِ قولِهِ: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾؛ لأنَّ البهتانَ مِنْ أنواعِ الأقوالِ[5]، وإمّا أذى الأقوالِ والأفعالِ، بقرينةِ عطفِ الإثمِ على البُهْتانِ[6]، وقولُهُ تعالى: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ معناهُ: فلا يتعرَّضُ لهنَّ الفُسّاقُ يحسبونَهنَّ إماءً، أو يتعرَّضُ لهنَّ المنافقونَ استخفافًا بهنَّ بالأقوالِ الَّتي تُخجِلُهنَّ؛ فيتأذَّينَ مِنْ ذلكَ، وربَّما يَسُبُّنَ الَّذينَ يُؤذونهنَّ، فيحصلُ أذًى مِنَ الجانبينِ[7].

2) ﴿ٱكْتَسَبُوا۟﴾: (كسب) أصلٌ يدلُّ على طلبٍ وإصابةٍ[8]، فالكَسْبُ: ما يتحرّاهُ الإنسانُ ممّا فيهِ اجتلابُ نفعٍ، وتحصيلُ حظٍّ، ككَسْبِ المالِ، وقد يُستعمَلُ فيما يظنُّ الإنسانُ أنَّهُ يجلبُ منفعةً، ثمَّ استجلبَ بهِ مَضَرَّةً[9]، ويقالُ: اكتسبَ، أي: تصرَّفَ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 183.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 348.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذي).
(4) الرّاغب، المفردات: (أذي).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104 - 105.
(6) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 19/ 12159.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 107.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسب).
(9) الرّاغب، المفردات: (كسب).

واجتهدَ[1]، ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: بغيرِ جِنايةٍ استحقّوا بها الإيذاءَ[2].

3) ﴿ٱحْتَمَلُوا۟﴾: (حمل) أصلٌ يدلُّ على إقلالِ الشَّيءِ[3]، ويُستعمَلُ الحملُ في الأثقالِ المحمولةِ في الظّاهرِ، كالشَّيءِ المحمولِ على الظَّهرِ، وفي الأثقالِ المحمولةِ في الباطنِ، كالولدِ في البَطْنِ، والماءِ في السَّحابِ، والثَّمرةِ في الشَّجرةِ؛ تشبيهًا بحَمْلِ المرأةِ[4]، ومعنى ﴿ٱحْتَمَلُوا۟﴾: كلَّفوا أنفسَهم حِمْلًا[5].

4) ﴿بُهْتَٰنًا﴾: (بهت) أصلٌ يدلُّ على التَّحيُّرِ[6]، قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: 258]، أي: دُهِشَ، وتحيَّرَ[7]، وانقطعَتْ حُجَّتُهُ[8]، ومِنْ ذلكَ البُهْتانُ، وهو الباطلُ الَّذي يَحيرُ النّاظرُ فيهِ[9]، والبُهْتانُ أيضًا: الكذبُ، يقالُ: بَهَتَهُ فلانٌ، أي: استقبلَهُ بأمرٍ قذفَهُ بهِ، وهو بريءٌ منهُ لا يعلمُهُ[10]، والمرادُ بالبُهْتانِ في الآيةِ: الكذبُ الَّذي يَبْهَتُ الشَّخْصَ لفظاعتِهِ[11].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ كرامةِ الرَّسولِ ومكانةِ المؤمنينَ والمؤمناتِ عندَ اللهِ تعالى

إنَّ الَّذينَ يُؤذونَ رسولَ اللّهِ بالقولِ أو الفعلِ أبعدَهم اللّهُ مِنْ رحمتِهِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ، وهيَّأ لهُم في الآخرةِ عذابًا مُذِلًّا؛ جزاءً لهُم على ما اقترفوهُ مِنَ الإيذاء، كما أن الَّذينَ يُؤذونَ المؤمنينَ

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: (كسب).
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 238.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حمل).
(4) الرّاغب، المفردات: (حمل).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بهت).
(7) الرّاغب، المفردات: (بهت).
(8) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (بهت).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (بهت).
(10) الخليل، العين: (بهت).
(11) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 35.

والمؤمناتِ بقولٍ أو فعلٍ مِنْ غيرِ ذنبٍ فعلوهُ؛ فقد تحمَّلوا وِزْرَ كذبِهم عليهم، وأتَوا ذنبًا قبيحًا ظاهرَ القُبْحِ، يُعاقَبونَ عليهِ يومَ القيامةِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾ عمّا قبلَهُ:

مآلُ مُؤذي الرَّسولِ ﷺ الخِزْيُ

فُصِلَتْ جملةُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّهُ يَخْطُرُ في نفوسِ كثيرٍ ممَّنْ يسمعُ الآياتِ السّابقةَ أنْ يتساءلوا عن حالِ قومٍ قد عُلِمَ منهُم قِلَّةُ التَّحرُّزِ مِنْ أذى الرَّسولِ ﷺ بما لا يليقُ بتوقيرِهِ[2]، كأنَّهُ قيلَ: ما حالُ مَنْ يُؤذي رسولَ اللهِ ﷺ؟ فأجيبَ بما في هذهِ الآيةِ.

غرضُ توكيدِ الآيةِ:

عقابُ مُؤذي الرَّسولِ ﷺ مُتيقَّنٌ

لمّا نهَى اللهُ ﷻ عن أذى النَّبيِّ ﷺ، وحضَّ على إدخالِ السُّرورِ عليهِ؛ توعَّدَ مَنْ يُؤذيهِ، وأكَّدَ هذا الوعيدَ؛ إظهارًا لكونِهِ ممّا ينبغي أنْ يُؤكَّدَ، وأنْ يكونَ لكلِّ مَنْ يتكلَّمُ بهِ غايةُ الرَّغبةِ في تقريرِهِ، فقالَ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ[3]، وفي ذلكَ مزيدُ عنايةٍ بكونِ العقابِ مُتيقَّنًا، لا شكَّ فيهِ ولا ارتيابَ، فيكونُ أنسبَ بمقامِ التَّخويفِ والتَّهديدِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالموصولِ:

الإيذاءُ علَّةُ اللَّعْنِ والعذابِ

جيءَ باسمِ الموصولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآيةَ؛ للدِّلالةِ على أنَّهم عُرِفوا بأنَّ إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ مِنْ أحوالِهم المُختصَّةِ بهِم، ولذلكَ ذُكِروا بهذا الوصفِ دونَ تعيينٍ لهُم، ولدلالةِ الصِّلةِ على أنَّ أذى النَّبيِّ ﷺ هو علَّةُ لَعْنِهم وعذابِهم[4]،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 35، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 632.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104.

كأنَّهُ قيلَ: لعنَهم اللّهُ، وأعدَّ لهُم عذابًا مُهينًا؛ لأنَّ إيذاءَ النَّبيِّ ﷺ كانَ مِنْ أحوالِهم المُختصَّةِ بهِم.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُؤْذُونَ﴾:

الإيـذاءُ عادتُهم المُستمِرَّةُ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ للدِّلالةِ على أنَّ إيذاءَهم للنَّبيِّ ﷺ أمرٌ مُتجدِّدٌ مُستمِرٌّ منهُم على الدَّوامِ، لا يتركونَهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ، فقدِ امتلأتْ نفوسُهم بالعداوةِ والبغضاءِ لهُ ﷺ.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

مُـؤذي العظيمِ يستحقُّ العذابَ العظيمَ المُهينَ

اختيرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيرِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لأنَّ السّياقَ للتَّخويفِ والتَّهديدِ، وبيانِ سوءِ عاقبةِ مَنْ يُؤذي النَّبيَّ ﷺ، وهذا اللَّفظُ أنسبُ بهذا السّياقِ؛ لِما يُفيدُهُ مِنَ الإشارةِ إلى صفاتِ العظَمةِ والجلالِ والكِبْرياءِ، والمعنى: يُؤذونَ اللّهَ الَّذي لا أعظمَ منهُ، ولا نعمةَ عندَهم إلّا مِنْ فضلِهِ[1]، وفي ذلكَ مزيدُ إنكارٍ عليهِم، وتقبيحٍ لصنيعِهم، حيثُ تجرَّؤوا على المُنتقِمِ الجبّارِ.

بلاغةُ إيقاعِ الإيذاءِ على اللهِ:

مُؤذي النَّبيِّ ﷺ مُؤذٍ للهِ

قولُهُ تعالى: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ مُشكِلٌ مِنْ حيثُ الظّاهرُ؛ لأنَّهُ تعالى لا يتأذَّى بشيءٍ، بل هو مُنزَّهٌ عن أنْ يلحقَهُ أذًى[2]، وفي توجيهِ إيقاعِ الأذى عليهِ وجهانِ، **أحدُهما**: أنْ يُعبَّرَ بإيذاءِ اللّهِ ورسولِهِ عن فعلِ ما يكرهانِهِ، ولا يَرْضَيانِهِ مِنَ الكفرِ والمعاصي، وإنكارِ النُّبوَّةِ، ومخالفةِ الشَّريعةِ، وما كانوا يُصيبونَ بهِ رسولَ اللّهِ ﷺ مِنْ أنواعِ المكروهِ، وذلكَ التَّعبيرُ واردٌ على سبيلِ المجازِ المُرسَلِ[3]، بإطلاقِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409.
(2) زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 662.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 559.

السَّببِ وإرادةِ المُسبَّبِ[1]، **والثّاني**: أنْ يرادَ: يُؤذونَ رسولَ اللّهِ ﷺ[2]، فيكونَ ذِكْرُ اللّهِ تمهيدًا لذكرِهِ، وأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ عندَ اللّهِ بمكانةٍ، حتَّى إنَّ إيذاءَهُ إيذاؤُهُ[3]؛ لأنَّهُ إذا ذُكِرَ اسمانِ متعاطفانِ، والحُكمُ إنَّما هو لأحدِهما أفادَ قوَّةَ اختصاصِ المعطوفِ بالمعطوفِ عليهِ، وأنَّهما بمنزلةِ شيءٍ واحدٍ، بحيثُ يصِحُّ نسبةُ أوصافِ أحدِهما وأحوالِهِ إلى الآخرِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالرِّسالةِ:

حـقُّ المُتفضَّلِ الإحسانُ إليهِ لا إيذاؤُهُ

عُبِّرَ بوصفِ الرَّسولِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لزيادةِ التَّشنيعِ على المُؤذينَ؛ لأنَّ الرَّسولَ هو الَّذي أوحيَ إليهِ بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغِهِ، وفي هذا التَّبليغِ ما يُنقِذُهم مِنْ شقاوةِ الدّارينِ، ويوجِبُ لهُم سعادتَهما، فينبغي أنْ يُقابِلوا ذلكَ بالشُّكرِ لا بالإيذاءِ[4].

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾:

رسـولُ العظيمِ مُشرَّفٌ مُعظَّمٌ

أُضيفَ الرَّسولُ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى اللّهِ ﷻ في قولِهِ: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لتشريفِ النَّبيِّ ﷺ، وتفخيمِ شأنِهِ، وبيانِ منزلتِهِ العظيمةِ عندَ اللّهِ، وزيادةِ التَّقبيحِ والتَّشنيعِ على المُؤذينَ؛ لأنَّهم يُؤذونَ رسولَ ذي العظَمةِ والجلالِ، وفي هذهِ الإضافةِ تلويحٌ بالعقابِ والانتقامِ.

نُكْتَةُ عدمِ تعيينِ المُؤذَى بِهِ:

كـلُّ مـا يُـؤذي منهيٌّ عنهُ

لم يُذكَرْ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ نوعُ الأذى؛ ليشملَ الكلامُ كلَّ ضربٍ مِنْ ضروبِ الإيذاءِ[5]، ويفيدَ المبالغةَ في تحريمِ الأذى وتجريمِهِ، حتَّى إنَّ صغيرَ الأذى وكبيرَهُ في ذلكَ سواءٌ.

---

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 476.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 559.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 476.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409.
(5) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.

دلالةُ التَّعبيرِ باللَّعْنِ:

عاقبةُ المُؤذي الإبعادُ مِنْ كلِّ خيرٍ

عُبِّرَ باللَّعْنِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾؛ لشِدَّةِ مناسبتِهِ لمقامِ الوعيدِ والتَّهديدِ؛ لأنَّ فيهِ إبعادًا مِنْ كلِّ خيرٍ[1]، وتحقيرًا للملعونِ[2]، ولأنَّهُ أشدُّ المحذوراتِ؛ لأنَّ البُعْدَ مِنَ اللهِ لا يُرجَى معَهُ خيرٌ، بخلافِ التَّعذيبِ، ألا ترى أنَّ المَلِكَ إذا تغيَّرَ على مملوكٍ إنْ كانَ تأذّيهِ غيرَ قويٍّ يزجرُهُ، ولا يطردُهُ، ولو خُيِّرَ المُجرِمُ بينَ أنْ يُضرَبَ، أو يُطرَدَ عندَما يكونُ المَلِكُ في غايةِ العظَمةِ والكرمِ، يختارُ الضَّربَ على الطَّردِ، ولا سيَّما إذا لم يكنْ في الدُّنيا مَلِكٌ غيرَ سيِّدِهِ[3].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿لَعَنَهُمُ﴾:

اللَّعْنُ لاصِقٌ بالمُؤذينَ

عُبِّرَ عن اللَّعنِ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ لَعْنَ هؤلاءِ المُؤذينَ أمرٌ ثابتٌ، لا شكَّ فيهِ ولا ارتيابَ، وقد حَكَمَ اللهُ بهِ في الأزلِ، ولا تبديلَ لكلماتِ اللهِ.

نُكْتَةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ:

لَعْنُ العظيمِ عظيمٌ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (لعنَهم في الدُّنيا والآخرةِ)؛ لتقدُّمِ لفظِ الجلالةِ في قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾؛ لِما في لفظِ الجلالةِ مِنَ الإيماءِ إلى صفاتِ العظَمةِ والجلالِ، الَّتي تناسبُ مقامَ الطَّرْدِ والإبعادِ، أي: لعنَهم العظيمُ الَّذي لا عظيمَ غيرُهُ[4]، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النّساء: 52].

معنى ﴿فِي﴾ في قولِهِ: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾:

اللَّعنةُ قرينةُ مَنْ يُؤذي اللهَ ورسولَهُ في الدّارينِ

جيءَ بحرفِ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾؛ للدِّلالةِ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، فيُفيدُ أنَّ مكانَ لَعْنِهم هو

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 398.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 409.

الدُّنيا والآخرةُ، وأنَّ اللَّعْنَ قد اتَّخذَ هَذَينِ الدّارينِ منزلًا لهُ، بحيثُ لا يفارقُهما، ولا ينتقلُ عنهما، وفي ذلكَ مزيدُ تهويلٍ وتخويفٍ لمَنْ لم يُقلِعْ عمّا هو عليهِ مِنَ الإيذاءِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

شـأنُ المُـؤذيـنَ حقيرٌ دَنيءٌ

عُبِّرَ بلفظِ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ لأنَّ المقامَ للتَّخويفِ والتَّهديدِ، وتحقيرِ أمرِ المُؤذينَ، وبيانِ دناءَةِ شأنِهم، ولفظُ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ يناسبُ ذلكَ، وفيهِ إيماءٌ إلى أنَّهم لم يَفوزوا مِنَ الدُّنيا الَّتي آذَوُا النَّبيَّ ﷺ مِنْ أجلِها، إلّا بكونِها مَحَلًّا للَعْنِهم، فهُم فيها مُحقَّرونَ عندَ المسلمينَ، ومحرومونَ مِنْ لُطْفِ اللهِ وعنايتِهِ[1].

معنى الواوِ في ﴿وَأَعَدَّ﴾:

جـزاءُ المُـؤذي اللَّـعْـنُ والتَّعذيبُ

الواوُ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ عاطفةٌ لهذهِ الجملةِ على جملةِ ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، ونُكْتَةُ هذا العطفِ: بيانُ أنَّهُ تعالى لم يَحْصُرْ جزاءَ المُؤذينَ في الإبعادِ، بل أوعدَهم بالعذابِ المُهينِ[2]، وفي ذلكَ مزيدُ تخسيرٍ وتحسيرٍ لهُم، يناسبُ مقامَ التَّخويفِ والتَّهديدِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالإعدادِ بصيغةِ الماضي:

عـذابُ المُـؤذيـنَ مُـهـيَّـأٌ لـهُـم ينتظرُهم

الإعدادُ: تهيئةُ الشَّيءِ، يقالُ: أعدَدْتُ هذا لكَ، أي: جعلتُهُ بحيثُ تتناولُهُ بحسَبِ حاجتِكَ إليهِ[3]، وفي التَّعبيرِ بهِ بصيغةِ الماضي في قولِهِ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ إشارةٌ إلى أنَّ العذابَ المُهينَ قد تمَّتْ تهيئتُهُ لهُم، كما يُهيَّأُ النُّزُلُ للضَّيفِ، فلا رجوعَ عنهُ لمَنْ لم يَتُبْ، وهو ينتظرُهم؛ ليَذوقوهُ يومَ القيامةِ[4]، وفي ذلكَ تهويلٌ للعذابِ، وفي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182.
(3) الرّاغب، المفردات: (عدد).
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 348.

التَّعبيرِ بهِ تأكيدٌ أيضًا؛ لأنَّ السَّيِّدَ إذا عذَّبَ عبدَهُ حالةَ الغضبِ مِنْ غيرِ إعدادٍ يكونُ دونَ ما إذا أعدَّ لهُ قَيْدًا؛ فإنَّ الأوَّلَ يمكنُ أنْ يقالَ: هذا أثرُ الغضبِ، فإذا سكتَ الغضبُ؛ يزولُ، وليس كذلكَ الثّاني[1].

معنى اللّامِ في ﴿لَهُمْ﴾:

العـذابُ المُهينُ مُستحَقٌّ للمُؤذينَ

اللّامُ في قوله ﷻ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ للمِلْكِ والاستحقاقِ، وهي تُفيدُ أنَّ العذابَ المُهينَ مُستحَقٌّ للمُؤذينَ، لا ينازعُهم فيهِ أحدٌ، وذلك بسببِ أعمالِهم السَّيِّئةِ.

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿لَهُمْ﴾:

تعجيلُ المَساءةِ زيادةٌ في العذابِ

قُدِّمَ ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ في قوله تبارك شأنُهُ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛ لتعجيلِ المَساءةِ للكافرينَ، ببيانِ أنَّ الإعدادَ مخصَّصٌ لهُم، ولو تأخَّرَ الجارُّ والمجرورُ إلى ما بعدَ المفعولِ وصفتِهِ؛ لَما أُفيدَ هذا المعنى، بل أُفيدَ كونُ الإهانةِ لهُم، فضلًا عمّا يترتَّبُ على تأخيرِ ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ مِنْ مراعاةِ تناسُبِ فواصلِ الآياتِ.

لطيفةُ تنكيرِ ﴿عَذَابًا﴾:

عـذابُ المُؤذينَ هائلٌ فظيعٌ

نُكِّرَ ﴿عَذَابًا﴾ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛ لتهويلِ شأنِ عذابِ المُؤذينَ وتفظيعِهِ، ببيانِ أنَّ العبارةَ تَقْصُرُ عن وصفِ كُنْهِهِ، وأنَّهُ قد جاوزَ كلَّ حدٍّ ووصفٍ، أي: عذابًا هائلًا عظيمًا، لا يُقادَرُ قَدْرُهُ؛ لأنَّ الَّذي تولَّى إعدادَهُ هو ذو العظَمةِ والجلالِ، الَّذي لا يُبْلَغُ كُنْهُ عظَمتِهِ وكِبْريائِهِ.

سِرُّ وصفِ العذابِ بكونِهِ مُهينًا:

عـذابُ المُؤذينَ مَشوبٌ بتحقيرٍ وخِزْيٍ

وُصِفَ العذابُ بكونِهِ مُهينًا في قولِهِ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛ لبيانِ أنَّهُ مَشوبٌ بتحقيرٍ وخِزْيٍ[2]، ويُقصَدُ بهِ إيلامُهم وإذلالُهم[3]، وللإشارةِ إلى أنَّهُ إنَّما كانَ مُهينًا؛ لأنَّ الحاملَ لهُم على

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 183.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 104.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 418.

الإيذاءِ هو الاستهانةُ[1]، وفي هذا الوصفِ تأكيدٌ للعذابِ أيضًا؛ لأنَّ مَنْ تأذَّى مِنْ عبدِهِ، وأمرَ بحَبْسِهِ وضربِهِ، فإنْ أمرَ بحَبْسِهِ في موضعٍ مُميَّزٍ، وأنْ يضْرِبَهُ رجلٌ كبيرٌ؛ دلَّ ذلك على أنَّ الأمرَ هيِّنٌ، وإنْ أمرَ بضربِهِ على ملأٍ، وحبسَهُ بينَ المُفسدينَ؛ فإنَّه يُنبِئُ عن شِدَّةِ الأمرِ، فمَنْ آذى اللّهَ ورسولَهُ؛ يُعذَّب عذابًا مُهينًا[2].

بلاغةُ اللَّفِّ والنَّشْرِ في الآيةِ:

ذُكِرَ في الآيةِ إيذاءُ اللّهِ وإيذاءُ الرَّسولِ، وذُكِرَ عَقيبَهُ أمرانِ: اللَّعْنُ، والتَّعذيبُ، فاللَّعْنُ جزاءُ اللّهِ؛ لأنَّ مَنْ آذى المَلِكَ يُبعِدُهُ عن بابِهِ؛ إذا كانَ لا يأمرُ بعذابِهِ، والتَّعذيبُ جزاءُ إيذاءِ الرَّسولِ؛ لأنَّ المَلِكَ إذا آذى بعضَ عبيدِهِ كبيرٌ، يستوفي منهُ قِصاصَهُ[3].

اللَّعْنُ جزاءُ اللهِ، والتَّعذيبُ جزاءُ إيذاءِ الرَّسولِ

معنى الواوِ في ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ على قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وذِكرُ الوعيدِ لمَنْ يُؤذي المؤمنينَ والمؤمناتِ - بعدَ وعيدِ مَنْ يُؤذي اللّهَ ورسولَهُ - مُؤذِنٌ بمكانتِهم عندَ اللّهِ ورسولِهِ[4]، وأنَّ لهُم حُرْمةً لا ينبغي المَساسُ بها، وهي حُرْمةُ الإيمانِ والتَّوحيدِ، فيا سَعْدَ مَنْ آمنَ، وصدَّقَ! فإنَّهُ داخلٌ في حِرْزِ اللّهِ.

حُرمةُ المؤمنين عند الله تعالى عظيمةٌ

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

جيءَ باسمِ الموصولِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآيةَ؛ للدِّلالةِ على أنَّ المذكورينَ قد عُرِفوا بأنَّ إيذاءَ المؤمنينَ والمؤمناتِ مِنْ أحوالِهم المُختصَّةِ بهم، ولذلكَ ذُكِروا بهذا الوصفِ دونَ تعيينٍ لهُم، ولدلالةِ الصِّلةِ على أنَّ أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ هو سببُ احتمالِ المُؤذينَ البُهْتانَ والإثمَ، كأنَّهُ

الإيذاءُ سببُ احتمالِ البُهْتانِ والإثمِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 183.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182.
(4) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسةٌ تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.

قيلَ: احتمَلوا بُهْتانًا وإثمًا مُبينًا؛ لأنَّ إيذاءَ المؤمنينَ والمؤمناتِ كانَ مِنْ أحوالِهم المُختصَّةِ بهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُؤْذُونَ﴾:

إيـذاءُ المؤمنينَ والمـؤمنـاتِ دَيْدَنُهم

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إيذاءَهمُ المؤمنينَ والمؤمناتِ أمرٌ مُتجدِّدٌ مُستمرٌّ منهُم على الدَّوامِ، لا يتركونَهُ في حالٍ مِنَ الأحوالِ، فقد امتلأتْ نفوسُهم بالعداوةِ والبغضاءِ للمؤمنينَ، فكلَّما وجدوا فُرْصةً لإيذائِهم؛ انتهزوها.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾:

رُسـوخُ المؤمنينَ والمـؤمنـاتِ في إيمانِهم

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصِّيغةُ مِنْ رُسوخِهم في الإيمانِ[1]، وأنَّهُ صارَ بمنزلةِ صفةٍ مِنْ صفاتِهم الجِبِلِّيَّةِ الَّتي لا ينفكّونَ عنها، كما هو شأنُ أهلِ الفلاحِ، ولذلكَ أثِمَ مُؤذيهم أقبحَ الإثمِ.

غرضُ تعريفِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وجمعِهما:

أذى العـدوِّ ينالُ كلَّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنةٍ

جيءَ بالمؤمنينَ والمؤمناتِ في قولِهِ تعالى: ﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ مجموعَينِ مُعرَّفَينِ؛ لتوسيعِ دائرةِ أذى أعدائِهم، وبيانِ أنَّ في قصدِهم إيذاءَ كلِّ مَنْ تحقَّقَ بصفةِ الإيمانِ؛ لِما في نفوسِهم مِنَ الحِقْدِ على الإيمانِ وأهلِهِ، وفيهِ إيماءٌ أيضًا إلى أنَّ المؤمنينَ بمنزلةِ الجسدِ الواحدِ، فإيذاءُ بعضِهم إيذاءٌ للكلِّ.

دلالةُ عطفِ ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أذى المـؤمنـاتِ وأذى المـؤمنينَ سواءٌ

عَطْفُ ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، وعدمُ الاقتصارِ على ذِكْرِ المؤمنينَ كما هو الغالبُ في القرآنِ؛ للتَّصريحِ بمساواةِ الحُكمِ وإنْ كانَ ذلكَ معلومًا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410.

مِنَ الشَّريعةِ، ولكفِّ المُؤذينَ عن أذى المؤمناتِ؛ لأنَّهنَّ جانبٌ ضعيفٌ، بخلافِ الرِّجالِ؛ فقد يكفُّهم عنهُم اتِّقاءُ غضبِهم وثأرِهم لأنفُسِهم[1].

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾:

قُدِّمَ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ لأنَّ الأكثرَ والأغلبَ وقوعُ الأذى على المؤمنينَ؛ لأنَّهم هم الَّذينَ يتولَّونَ نَشْرَ الدّينِ والدَّعوةَ إلى اللّهِ ﷻ، فيكونونَ عُرْضةً لأذى أعداءِ الدّينِ.

أذى المؤمنينَ أكثرُ مِنْ أذى المؤمناتِ

معنى الباءِ في ﴿بِغَيْرِ﴾:

الباءُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ للسَّببيَّةِ، وهي تفيدُ حُرْمةَ أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ بسببِ جُرْمٍ لم يفعلوهُ؛ فإنَّهُ جَمْعٌ بينَ أمرينِ في غايةِ القُبْحِ، وهما: الإيذاءُ والظُّلْمُ.

أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ ظُلْمًا وعُدْوانًا فعلٌ قبيحٌ

معنى ﴿مَا﴾ في ﴿مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾:

الظّاهرُ أنَّ ﴿مَا﴾ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ موصولةٌ، أي: بغيرِ الذي اكتسبوا مِنْ سيِّئٍ[2]، وفي التَّعبيرِ بالموصولِ الدّالِّ على العمومِ والشُّمولِ بأمارةِ استعمالِه لغيرِ العاقلِ تعميمٌ لِما اكتسبوهُ مِنَ السَّيِّئاتِ، فيشملُ كلَّ ما اكتسبوهُ منها، ويحتملُ أنْ تكونَ ﴿مَا﴾ مصدريَّةً[3]، أي: بغيرِ اكتسابِهم.

يُؤاخَذُ المُؤمِنُ بالَّذي عملَهُ فقطْ

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿ٱكْتَسَبُوا۟﴾:

ضميرُ ﴿ٱكْتَسَبُوا۟﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ عائدٌ إلى المؤمنينَ والمؤمناتِ على سبيلِ التَّغليبِ[4]، والظّاهرُ أنْ يقالَ: (بغيرِ ما اكتسبوا واكتسَبْنَ).

لا ذنبَ للمؤمنينَ والمؤمناتِ يستحقّونَ لأجلِه الأذى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 105.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 45.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 105.

سرُّ التَّعبيرِ بالاكتسابِ دونَ الكَسْبِ:

وجـــوبُ الاحـتـيـاطِ قبلَ إيـذاءِ المؤمنينَ والمؤمناتِ

فُرِّقَ في اللُّغة بينَ صيغة (فعلَ) و(افتعلَ)؛ وذلك بأنَّ (فعلَ) تدلُّ على فعلٍ طبيعيٍّ ليسَ فيهِ مبالغةٌ ولا تكلُّفٌ، أمّا (افتعلَ)؛ فتدلُّ على فعلٍ فيهِ تكلُّفٌ ومبالغةٌ، ومِنْ ذلكَ (كسبَ) و(اكتسبَ)، فالفعلُ (اكتسبَ) فيهِ زيادةٌ وافتعالٌ؛ ولذلكَ غلبَ استعمالُهُ في الشَّرِّ، وغلبَ استعمالُ (كسبَ) في الخيرِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]؛ لأنَّ الخيرَ يأتي طبيعيًّا تلقائيًّا، أمّا الحرامُ؛ فيحتاجُ إلى محاولةٍ وافتعالٍ واحتياطٍ[1]، والاكتسابُ يدلُّ على التَّعمُّدِ أيضًا[2]، ولذلكَ عُبِّرَ بهِ في قولِهِ: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى ضرورةِ الاحتياطِ قبلَ إيذاءِ المؤمنينَ والمؤمناتِ.

نُكْتَةُ التَّقييدِ بقولِهِ: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾:

في التَّقييدِ زيادةُ تشنيعِ الأذى، بأنَّهُ ظلمٌ وكذبٌ

قولُه تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ احترازٌ عن الأمرِ بالمعروفِ مِنْ غيرِ عُنْفٍ زائدٍ، فإنَّ مَنْ جَلَد مئةً على شُرْبِ الخمرِ؛ آذَى بغيرِ ما اكتسبَ، ومَنْ جلدَ على الزِّنى؛ لم يُؤْذِ بغيرِ ما اكتسبَ[3]، وفي هذا القيدِ مَلْمَحٌ آخرُ، وهو أنَّ المجرورَ في موضعِ الحالِ، وهذهِ الحالُ لزيادةِ تشنيعِ ذلكَ الأذى، بأنَّهُ ظلمٌ وكذبٌ، وليسَ المرادُ بالحالِ تقييدَ الحُكمِ، حتَّى يكونَ مفهومُهُ جوازَ أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ بما اكتسبوا، أي: أنْ يُسَبّوا بعملٍ ذميمٍ اكتسبوهُ؛ لأنَّ الجزاءَ على ذلكَ ليسَ موكولًا لعمومِ النّاسِ، ولكنَّهُ موكولٌ إلى ولاةِ الأمورِ[4].

سرُّ تقييدِ إيذاءِ المؤمنينَ والمؤمناتِ وإطلاقِ إيذاءِ اللهِ ورسولِهِ:

لا يصدرُ عنِ اللهِ تعالى ورسولِهِ إلّا الحقُّ، فأذاهم باطلٌ أبدًا

أُطلِقَ إيذاءُ اللهِ ورسولِهِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وقُيِّدَ إيذاءُ المؤمنينَ والمؤمناتِ بقولِهِ تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا

(1) الشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 19/ 12157.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 183.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 105.

﴿ٱكۡتَسَبُواْ﴾؛ لأنَّ أذى اللهِ ورسولِهِ لا يكونُ إلّا غيرَ حقٍّ أبدًا، وأمّا أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ؛ فمنهُ حقٌّ، كالحدِّ والتَّعزيرِ، ومنهُ باطلٌ[1].

معنى الفاءِ في ﴿فَقَدِ﴾:

نتيجةُ الأذى البُهْتانُ والإثمُ

قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾ خبرُ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وقد دخلتِ الفاءُ لشَبَهِ الموصولِ بالشَّرطِ[2]، وفي ذلكَ بيانُ تسبُّبِ احتمالِ البُهْتانِ والإثمِ عن الإيذاءِ، وما أقبحَهُ مِن احتمالٍ!

غرضُ التَّوكيدِ بـ(قد):

احتمالُ البُهْتانِ والإثمِ مُتيقَّنٌ

جيءَ بحرفِ التَّحقيقِ (قد) في قوله ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾؛ لتشديدِ أمرِ الإيذاءِ[3]، والتَّحذيرِ مِنْ عواقبِهِ المُترتِّبةِ عليهِ ترتُّبًا قطعيًّا، لا ريبَ فيهِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿ٱحۡتَمَلُواْ﴾:

سرعةُ ترتُّبِ البُهْتانِ والإثمِ على الأذى

جيءَ بالفعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾ على صيغةِ الماضي، مِنْ غيرِ أنْ يُراعَى المضارعُ في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ﴾؛ للإشارةِ إلى وقوعِ الفعلِ، وأنَّهم قدِ احتملوا البُهْتانَ والإثمَ[4]، وأنَّ هذا الاحتمالَ قد ترتَّبَ على الإيذاءِ دونَ تأخيرٍ أو تَوانٍ، وفي ذلكَ مزيدُ تحذيرٍ مِنْ عاقبةِ الإيذاءِ، وإنذارٌ بوخامةِ ارتكابِه.

سرُّ التَّعبيرِ بصيغةِ الافتعالِ:

عِظَمُ ما احتملوهُ مِنَ البُهْتانِ والإثمِ

عُبِّرَ عن الحمْلِ في قوله ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ﴾ بصيغةِ (افتعلَ) الدّالَّةِ على التَّكلُّفِ، ولم يقل: (فقد حَمَلوا)؛ للإشارةِ إلى عِظَمِ ما احتملوهُ من البُهتانِ والإثمِ، وكأنَّهُ أمرٌ لا يُطاقُ حَمْلُهُ إلّا بمزيدٍ مِنَ الجهدِ والمعاناةِ[5]، وفي ذلكَ تمثيلٌ للبُهْتانِ بحِمْلٍ ثقيلٍ على صاحبِهِ[6]، يَنوءُ بحَمْلِهِ.

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 559، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 44.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 141، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 263.
(3) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.
(4) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.
(5) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.

غرضُ تنكيرِ ﴿بُهْتَٰنًا﴾:

البُهْتانُ المحمولُ عظيمٌ فظيعٌ

جيءَ بلفظِ البُهْتانِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ نكرةً؛ للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ، أي: فقد احتملوا بُهْتانًا شنيعًا عظيمًا[1]، وهذا التَّعظيمُ المُستفادُ مِنَ التَّنكيرِ، يُقوّي التَّعظيمَ المُستفادَ مِنْ معنى الكلمةِ، فالبُهْتانُ هو الافتراءُ المُجاوِزُ للحدِّ، وهو أقبحُ الكذبِ[2]، وفي ذلكَ وعيدٌ شديدٌ وتخويفٌ عظيمٌ للمُؤذينَ.

نُكْتَةُ عطفِ الإثمِ على البُهتانِ:

جمعُ المُؤذينَ بينَ الأذى القوليِّ والفعليِّ أمارةُ حقدهم على المؤمنين

عُطِفَ الإثمُ على البُهْتانِ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ لبيانِ جمعِ المُؤذينَ بينَ نوعينِ مِنَ الأذى، وهما الأذى القوليُّ المُعبَّرُ عنهُ بالبُهْتانِ، والأذى الفعليُّ المُعبَّرُ عنهُ بالإثمِ[3]، فهم لم يَتركوا صورةً مِنْ صوَرِ الإيذاءِ إلّا أتَوا بها؛ لأنَّ نفوسَهم قد فاضَتْ بالحِقْدِ على أهلِ الإيمانِ.

علَّةُ تنكيرِ الإثمِ:

إثمُ الذَّنبِ العظيمِ عظيمٌ

جيءَ بلفظِ الإثمِ في قولِه تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ نكرةً؛ لتعظيمِ شأنِ هذا الإثمِ وتهويلِهِ، أي: وإثمًا عظيمًا فظيعًا، وفي ذلكَ مزيدُ تحذيرٍ مِنْ عواقبِ الإيذاءِ.

نُكْتَةُ وصفِ الإثمِ بـ﴿مُّبِينًا﴾:

إثمُ المُؤذينَ ظاهرٌ لا شُبْهةَ فيهِ

وُصِفَ الإثمُ بكونِهِ مُبينًا في قولِ اللهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّهُ عظيمٌ قويٌّ، أي: جُرْمًا مِنْ أشدِّ الجُرْمِ[4]، وللتَّنبيهِ على أنَّهُ يعلمُ كلُّ أحدٍ أنَّهُ إثمٌ، أي: إثمًا ظاهرًا لا شُبْهةَ في كونِهِ إثمًا[5]، وكأنَّهُ يكونُ يومَ القيامةِ كالشَّيءِ المُعْلَمِ، فيقالُ:

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 418، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 263.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 418.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 105.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 105.

هذا بُهْتانُهم فلانًا وكَذِبُهم عليهِ، ويأتونَ يومَ القيامةِ المشهودِ، وقد تجسَّدَتْ أكاذيبُهم وآثامُهم، واحتملوها على ظهورِهم؛ إعلامًا بافترائِهم، وبراءةِ ساحةِ هؤلاءِ المؤمنينَ المُؤذَيْنَ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيذاءُ والإضرارُ:

لم يَدَّخِرِ المؤذون وسيلةً لـلأذى مِـنْ قـولٍ أو فعلٍ إلّا ارتكبوه بحقدهم

الأذى: ما يصلُ إلى الحيوانِ مِنَ الضَّررِ: إمّا في نفسِهِ، أو جسمِهِ، دنيويًّا كانَ أو أُخْرَويًّا[2]، فيكونُ معنى الإيذاءِ: إلحاقَ الضَّررِ المذكورِ بالحيوانِ.

والضَّرُّ في الأصلِ: سوءُ الحالِ: إمّا في نفسِهِ لقلَّةِ العلمِ والفضلِ والعِفَّةِ، وإمّا في بدنِهِ لعدمِ جارحةٍ ونقصٍ، وإمّا في حالةٍ ظاهرةٍ مِنْ قلَّةِ مالٍ وجاهٍ، والإضرارُ: إيصالُ الضَّرَرِ إلى الآخرِ[3].

ويظهرُ أنَّ الأذى أشدُّ؛ لأنَّهُ يشملُ الضَّررَ الدُّنيويَّ والأُخرويَّ، فيكونُ أنسبَ بالسّياقِ هنا؛ لأنَّ المُؤذينَ لم يَدَّخِروا وسيلةً للأذى مِنْ قولٍ أو فعلٍ[4]؛ لِما اشتملَتْ عليهِ قلوبُهم مِنَ الحِقْدِ والضَّغينةِ المستوجبَينِ لشدَّةِ العقابِ.

الكذبُ والافتراءُ والإفكُ والبُهْتانُ والخَرْصُ والزّورُ:

البُهْتانُ أنسبُ بمقامِ تقبيحِ فعلِهم وتشنيعِهِ

الكذبُ: خلافُ الصِّدقِ، والافتراءُ: اختلاقُ الكذبِ، والإفكُ: قلبُ الشَّيءِ وصرفُهُ عن الحقِّ في الاعتقادِ إلى الباطلِ، وعن الصِّدقِ في المقالِ إلى الكذبِ، وعن الجميلِ في الفعلِ إلى القبيحِ[5]، والبُهْتانُ: هو الكذبُ الفظيعُ الَّذي يتحيَّرُ منهُ سامعُهُ عندَ سماعِهِ[6]، والخَرْصُ:

(1) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 391.
(2) الرّاغب، المفردات: (أذى).
(3) الرّاغب، المفردات: (ضرر).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 398، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 114.
(5) زيدان، الفروق اللّغوية، ص: 154 - 159.
(6) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/ 1154.

كلُّ قولٍ مَقولٍ عن ظنٍّ وتخمينٍ[1]، والزّورُ: تزيينُ الكذبِ وزخرفتُهُ، والمَيْلُ بهِ عن الحقِّ[2].

وقد عُبِّرَ بالبُهْتانِ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا﴾؛ لِما يدلُّ عليهِ مِنْ فظاعةِ كذبِهم وشناعتِهِ وفُحْشِهِ[3]، وتجاوزِهِ الحدَّ، بحيثُ ينفرُ منهُ السّامعُ، ويتعجَّبُ، ويتحيَّرُ؛ لأنَّ مِثْلَ ذلكَ حقُّهُ ألّا يكونَ، ولفظُ البُهْتانِ يُشعِرُ أيضًا بكونِهِ إثمًا عظيمًا يُؤدّي إلى عذابٍ أليمٍ[4].

الإثمُ والخطيئةُ:

تعمُّدُهم الإيذاءَ سببُ تشديدِ الوعيدِ عليهِم

الخطيئةُ قد تكونُ مِنْ غيرِ تعمُّدٍ، ولا يكونُ الإثمُ إلّا عن تعمُّدٍ[5]، وقدِ اختيرَ الإثمُ في قوله سبحانَهُ: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ للإشارةِ إلى تعمُّدِهم الإيذاءَ، ونفيِ احتمالِ الخطأِ فيهِ، وفي ذلكَ مزيدُ تقبيحٍ وتشنيعٍ لحالِهم، وتأكيدٌ لاستحقاقِهم العقابَ.

(1) زيدان، الفروق اللّغوية، ص: 154 - 159.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 268.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 324.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 410، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 418.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 222.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»